فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي
فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب وتركني فلما كان الغد
رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة
فذهب وتركني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فقال احفر زمزم قلت
وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث
والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف اي
لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وفيه انه ذكر انه وقع فيها عبد حبشي
فمات بها فانتزحت من اجله فوجدوا ماءها يفور من ثلاثة اعين اقواها
واكثرها من ناحية الحجر الاسود
وقوله ولا تذم بالذال المعجمة اي لا توجد قليلة الماء من قولهم بير
ذمة اي قليلة الماء قيل وليس المراد انه لا يذمها احد لان خالد
ابن عبد الله القسري امير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك
ذمها وسماها ام جعلان واحتفر بيرا خارج مكة باسم الوليد
ابن عبد الملك وصار يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك
بها وفيه انه هذا جراءة منه على الله تعالى وقلة حياء وهو الذي
كان يفصح بلعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه على المنبر فلا عبرة
بذمه. وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات
من ولد ابراهيم وقيل لها برة لانها فاضت للابرار وقيل لها
المضنونة لانه ضن بها على غير المومنين فلا يتضلع منها منافق
وقد جاء في رواية يقول الله ضننت بها على الناس الا عليك ولعل
المراد الا على انبياء فيكون بمعنى ما قبله وفي رواية انه قيل
لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علامتها فجاء الى قومه وقال
لهم اني امرت ان احفر زمزم قالوا فهل بين لك اين هي قال لا قالوا
فارجع الى مضجعك الذي رايت فيه ما رايت فان يكن حقا فان الله
يبين لك وان يكن من الشيطان فلا يعود اليك فرجع عبد المطلب
الى مضجعه فنام فيه فاتاه فقال له احفر زمزم فانك ان حفرتها
لم تندم وهي ميراث من ابيك الاعظم لا تنزف ابدا ولا تذم تسقي

الحجيج

والغراب الاعصم

الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب اين هي فقال هي بين الفرث والدم عند قرية
النمل حيث ينقر الغراب الاعصم غدا. اي والاعصم قيل احمر المنقار والرجلين
وقيل ابيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي قال في قوله صلى الله
عليه وسلم مثل المراة الصالحة في النساء مثل الغراب الاعصم بين مائة
غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم الابيض الجناحين
وقيل ابيض احدى الرجلين. فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده
الحارث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها
بين الفرث والدم اي في محلهما وذلك بين اساف ونائلة الصنمين
الذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما اي بجانبهما اي
التي كانت تتقرب بها وهذا يبعد ما جاء في رواية انه لما قام بحفرها راي
ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما
هو كذلك ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحروها
في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه يجوز ان يكون الفرث
والدم موجودين بالفعل ولا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه
ذلك الوقت ثم يكشف بنقرة الغراب في محلهما فارسل الله تلك البقرة
ليرى الامر عيانا. وذكر السهيلي لذكر هذه العلامات الثلاث حكمة
لا باس بها وتعلق اساف ونائلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة
بعد ان نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة الى المحل المذكور فلا يخالف
ما ذكره القاضي البيضاوي وغيره ان اساف كان على الصفا ونائلة على
المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما اي ومن ثم لما جاء الاسلام
وكسرت الاصنام كره المسلمون الطواف اي السعي بينهما وقالوا يا رسول
الله هذا كان شعارنا في الجاهلية لاجل التمسح بالصنمين فانزل الله تعالى
ان الصفا والمروة من شعائر الله الاية. ويقال ان بقرة نحرت
بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد في موضع زمزم
فوقفت مكانها فاحتمل لحمها فاقبل غراب اعصم فوقع في الفرث فبحث عن قرية النمل
الجمع وقد يقال لا منافاة لان قوله في الرواية الاولى ندت بقرة من
ذابحها اي من شرع في ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحروها اي تمم